تكلمنا في العدد يوليو 2002 عن موضوع علاج الإدمان على المخدرات على انه صعب ولكن ليس بمستحيل وتكلمنا في نفس الوقت بأنه ليس صعبا بل علاج الإدمان على المخدرات قد يكون سهلا إذا ما تقدم المريض من تلقاء نفسه من جهة وفي وقت مبكر من إدمانه على المخدرات من جهة أخرى
ومع هذا فبينا لماذا مرض الإدمان على المخدرات صعب ويختلف عن باقي الأمراض العضوية وبعض الأمراض النفسية فقد يتوقف الشفاء في تلك الأمراض على الأدوية في حين الشفاء والتعافي من مرض الإدمان على المخدرات على (Medication) علاجات أخرى وهي نفسية واجتماعية وطبية وتطرقنا في الحديث إلى العوامل التي تجعل علاج الإدمان على المخدرات صعب وهي المجتمع ، المريض ، أسرة المريض ، المصحة العلاجية وكذلك تحدثنا عن الأبعاد المؤثرة في المجتمع وهي
البعد التعليمي وتكلمنا في هذا البعد عن المدارس ونظرة الإدارات المدرسية إلى الإدمان على المخدرات والمدمنين أو طلب المساعدة في حل مشكلتهم ألا وهي الإدمان على المخدرات فمعرفة الطالب بنظره الإدارة المدرسية تجاه الطالب المدمن يجعله يخفي إدمانه ويرفض العلاج وذلك خوفا من نظرة إدارة مدرسته السلبية والقاسية في آن واحد فكما بينا فإذا كان الطالب المدمن يرغب بالعلاج إلا أن نظرة إدارته القاسية سوف يجعله يصرف النظر عن العلاج ويستمر في تعاطي المخدرات حتى يصل إلى مرحلة بالغة الخطورة مما يضطر في النهاية الدخول المصحة العلاجية وهو هنا سوف يكون اكثر انشغالا وتفكيرا في مستقبله الدراسي خصوصا بعد نظافة جسمه من السموم (المخدرات) مما يعرقل علاجه ويقلل من دافعيته للعلاج كذلك ، وكما تكلمنا عن كيفية تعامل الإدارات المدرسية للطلاب المدمنين ، بحيث يجعلهم يعترفون بتعاطيهم للمخدرات ويطلبون في نفس الوقت العلاج وهم اكثر تهيئا" واستعدادا" للعلاج واليوم سوف نتكلم عن البعد الثاني ألا وهو البعد الديني

البعد الديني:

كلما كان المجتمع محافظا كلما كان يميل أكثر للتدين ونجد أن المساجد عامرة بالمصلين ليس هذا فحسب وإنما نجد أن أفراد المجتمع يحرصون على إقامة الطاعات فهم بالإضافة إلى أنهم يؤدون الصلوات فانهم يؤدون ما أمر به الله من باقي الأعمال الأخرى من الصيام والزكاة والحج وحتى النوافل والأعمال الخيرة الأخرى مما يترتب على سلوكياتهم فيكون سلوكهم أخلاقي فيحب الخير للآخرين كما يحب الخير لنفسه وأن يقدم المساعدة للمحتاج وان يسأل عن جاره ويقوم بواجباته تجاهه ويراعي حدود الله فلا يحاول التعدى به حدوده ويجد مخافة الله أمام عينيه في كل عمل يود القيام به ، كما أن هناك الكثير من السلوكيات الجيدة التي يجب ان يتصف بها المتدين لا يوجد مجال لذكرها الآن فالتدين لا يعني إقامة الصلوات وصيام رمضان وإخراج الزكاة وحج بيت الله وأداء العمرة فحسب وإنما كذلك يجب أن يتحلى بالسلوك القويم والفضيلة فلا معنى للقيام بأداء الصلوات والقيام بالأعمال الأخرى مثل الحج والصيام والزكاة وسلوكه سيئ غير أخلاقي بعيد عن الفضيلة لان السلوك الحسن الأخلاقي والقويم ويتصف بالفضيلة هو انعكاس للتدين وحتى يكون قدوة للآخرين
ونظرا لكون المسجد هو المكان الذين ينطلق منه إشعاع الدين وهو رمز للدين وهو الذي يقام فيه الصلوات والخطب والمحاضرات وهو المكان الذي يجمع شمل الناس في الأزمات منذ القدم وحتى وقت قريب 1990 وهي سنة الغزو حيث لعبت المساجد دورا كبيرا في تقديم العون الروحي والمادي للناس الأمر الذي أدى إلى تماسك المجتمع آنذاك ووقوفهم صفا واحدا أمام العدو الغاشم حتى من الله علينا بالنصر المؤزر والذي كان نتيجة لأعمالنا من الصلوات والأدعية وأعمالنا الأخرى القائمة على القيم الإسلامية الأصيلة من تعاون وتآزر وخوف بعضنا على بعض وتقديم العون للجميع وقيام الناس بأعمال ومهن لم يتعود القيام بها كل ذلك أدى إلى تماسك المجتمع وترابطه

ولهذا سوف نركز على دور المسجد وان كانت هناك أماكن أخرى كمراكز حفظ وتفسير القرآن الكريم المنتشرة داخل الكويت لها دور كذلك في نشر الثقافة والتوعية وكذلك لها دور في التوجيه والإرشاد الديني

دور العبادة (المساجد)

لعبت المساجد ولا زالت حتى اليوم دورا مهما في التنشئة الاجتماعية فهي ليست أماكن للعبادة بقدر ما كانت تساهم في تنشئة الأفراد اجتماعيا وغرس الفضائل والقيم فيهم لدرجة إذا ما تغيب أحد عن الحضور إلى المسجد حتى ساروا إليه يسألون عنه وينشدونه ، والإمام لم يكن دوره فقط في امامة الناس بل كان يلعب دورا آخر فهو كان بمثابة الأب أو الأخ للمصلين في نفس الوقت فكان يجيب عن كل الأسئلة الفقهية وغيرها من الأسئلة التي تمس الحياة اليومية

لذلك فان الإمام في ذلك الوقت كان يملك معرفة جيدة ليس فقط بالدين والفقه والأمور الشرعية ، وإنما بجميع أنواع المعرفة ولذلك إذا رجعنا إلى الأئمة السابقين نجدهم يملكون معرفة في العلوم أو المعرفة الحسية والمعرفة العقلية

فامتلاكهم بتلك المعارف الحسية والعقلية جعلتهم يفهمون نفسيات البشر من جهة وزودتهم بمهارات التعامل من جهة أخرى مما ساهمت في التأثير وتوجيه الناس نحو الصالح العام للمجتمع

بالإضافة إلى ذلك فان إلمامهم بالمعرفة الحسية والعقلية ساعدهم في صقل شخصياتهم وتوسيع مداركهم العقلية وقد أفادتهم اكتسابهم للمهارات التالية : القدرة على الإقناع والقدرة على الحوار المثمر والقدرة على فهم نفسيات الناس والتعامل معها والتأثير فيها ، وكذلك بالحكمة والتواضع والزهد وهي وغيرها من المهارات الأخرى تساعد أو ساعدت الإمام في الجمع بين مهابته من جهة ومحبة الناس له من جهة ثانية لدرجة أن الناس لم يتخذوه كإمام فقط بل أب أو أخ لهم كما بينا سابقا فاصبحوا يقصدونه في أي استشارة أو مشكلة تواجههم سواء كانت مادية أو اجتماعية أو حتى مشكلة نفسية هذا بالإضافة إلى الاستشارات أو فتاوى الشرعية الفقهية لذلك أصبح الإمام يلعب دورا كبيرا في توجيه وإرشاد الناس فهو إذا لم يستطع حل مشكلة ما سواء كانت اجتماعية أو نفسية فانه قادر على توجيه وإرشاد السائل إلى الجهة المختصة والتي تستطيع مساعدته.

أما إذا كانت المشكلة لا حل لها فانه يطلب من صاحب المشكلة أن يتحلى بالصبر والإيمان بالله وان يثق بالله وان الله سوف يجد له مخرجا ، ولذلك نجد أن اكتسابه للمعارف بكافة أنواعها ساعدته في أن تكون فتاوى الإمام صحيحة من جهة وأصبح اكثر تأثيرا في الناس من جهة أخرى

ولذلك نجد أن المساجد لم تكن تهدف إلى إقامة العبادات (الصلاة والخطب والدروس الدينية) فقط بقدر ما كانت تهدف كذلك إلى غرس السلوك القويم وقيم الفضيلة والأخلاق في نفوس الناس وهذا هدف كل دين سماوي انزل على رسول أو نبي بعد عبادة الله

ولكن الآن ماذا عن دور العبادة (المساجد) في وقتنا الراهن هل تقوم بدورها بصورة سليمة ومؤثرة ؟ وهل لها فعالية في حياتنا اليومية كما كانت في الماضي

المساجد لم تقم اليوم بدورها كما كانت في الماضي وذلك لغياب الإمام والخطيب المتمكن والجامع والمطلع على المعارف بكافة أنواعها من جهة ولوجود مجتمع مادي استهلاكي أصبحت القيم المادية هي الطاغية على القيم الإنسانية والأخلاقية النبيلة في المجتمع مما أظهرت لنا مجموعة مشاكل أو مشكلات نفسية ، اجتماعية ومنها مشكلة تعاطي المخدرات

فكيف تعاملت دور العبادة (المساجد) مع هذه المشكلة (مشكلة تعاطي المخدرات) ؟

تعاملت دور العبادة (المساجد) مع هذه المشكلة بسلبية واضحة فهي لم تتجاهل مشكلة وإنما تعاملت معها بقسوة كبيرة فهي تنظر لهؤلاء المدمنين انهم مرضى وهم بحاجة إلى العلاج وإنما تعاملت معهم بأنهم مذنبون وعاصون ولم يكتفوا بذلك بل ركزوا على سلوكياتهم المنحرفة وما يفعلون وما ينتج عن إدمانهم على المخدرات في الوقت الذي

يجب الحديث والتركيز على العلاج والتعافي وان إدمانهم على المخدرات ما هو إلا مرض وعليهم أن يتعالجوا في المصحة ولو كان الحديث والتركيز على هذا الجانب لأعطت نتائج إيجابية اكثر ولأفصح كثير من المدمنين عن مشكلتهم ألا وهي إدمانهم على المخدر ولطلبوا هنا المساعدة من الإمام أو الخطيب ليس هذا فحسب بل أيضا لعائلات المدمنين هم أيضا لطلبوا المساعدة والتوجيه والإرشاد في كيفية مواجهة مشكلة ابنهم المدمن أو رب الأسرة وليس هذا فحسب بل أيضا لتغيرت نظرة الناس للمدمنين فبدلا من أن ينظروا للمدمن انه منحرف ينظروا إليه على انه إنسان مريض بحاجة إلى علاج ولا بد من أن يعالج كما يساعد المدمن بان يكشف عن إدمانه ويطلب العلاج ، وحتى الأسرة سوف تتشجع وتعترف بمشكلة إدمان ولدهم وتطلب المساعدة من قبل الناس المحيطين بهم كما تخفف الضغوط النفسية عن الأسرة وتخفف من شعورها بالعار أو بالذنب وهنا تصبح الأجواء صحية للعلاج ، فالمدمن يتقدم للعلاج بدافعيه اكثر ورغبة اكثر للشفاء والتعافي خصوصا وهو يرى أن الكل ينظر إليه على انه إنسان مريض وليس إنسان منحرف عاصي وهكذا مع أجواء الروحية الصحية نجد أن المريض يحقق الشفاء والتعافي بأسرع وقت ممكن وذلك لزيادة دافعيته للعلاج من جهة وإحساسه بان الكل يقف معه في محنته هذه من جهة ثانية وهكذا فلو قام الإمام أو الخطيب بدورهما تجاه هذه المشكلة أو مشاكل أخرى نابعة من واقع المجتمع لقلت كثير من المشاكل والانحرافات داخل المجتمع مع زيادة الوازع الديني

والمشاكل والانحرافات ما هي إلا نتاج لطغيان القيم المادية على القيم الأخلاقية والاجتماعية والروحية وهي تتواجد داخل المجتمع نتيجة لضعف أو غياب الوازع الديني داخل المجتمع على الرغم من قصور بعض الأئمة والخطباء في فهم وتحليل ومعالجة بعض المشكلات الاجتماعية أو حتى النفسية نجد أن هناك الكثير من الأئمة والخطباء الذين أصابوا كبت الحقيقة في فهمهم وتحليلاتهم ومن ثم معالجتهم لكثير من القضايا والمشكلات الاجتماعية الدينية والأخلاقية ، مما ساهموا في حل كثير من تلك القضايا والمشاكل وهذا نتاج لسعة معرفتهم في المعارف والتي سبق أن تكلمنا عنها والتي انعكست في فهمهم وتحليلهم وثم لمعالجتهم للقضايا والمشاكل المثارة داخل المجتمع من جهة وقدرتهم على التعامل مع الناس بالتواضع والحكمة والزهد والتسامح والصدق والأمانة وحب الخير

من ما ترك ذلك الأثر الطيب في نفوس الناس وكسبوا محبة وثقة الناس فأصبحت مساجدهم عامرة بالمصلين وقاعات محاضراتهم ومنتدياتهم الدينية والثقافية مليئة بالحضور ليس هذا فحسب بل أيضا اصبحوا مقصد الناس في الإجابة على أسئلتهم وإصدار الفتاوى في كثير منها

من الأمثلة الجيدة والتي تساعد المدمن بل وتشجعه على التوقف عن تعاطي المخدر أو على الأقل التفكير بحياة جديدة بعيدة عن المخدر والتي قد تكون بداية التفكير ومن ثم التقدم وطلب العلاج في المصحة وباستخدام أسلوب الترغيب وعلى النحو التالي

عزيزي المدمن هل تعلم أن صمودك أمام كل رغبة لتعاطي المخدر أو لهفة أو شوق لتعاطي المخدر فانك تعتبر كمجاهد في سبيل الله لان مجابهة النفس وجهاد النفس تعتبر كجهاد في سبيل الله في الثواب والجزاء .

فتصور عزيزي المدمن ان كل رغبة لتعاطي المخدر لا تنساق لها كجهاد في سبيل الله فكم رغبة سوف لا تنصاع لها بكثر هذه الرغبات التي لا تنصاع لها سوف تكسب الثواب والجزاء وهذا لا يكون إلا إذا تقدمت للعلاج وبهذا الأسلوب سوف يتقدم المدمن للعلاج من جهة وسوف يناضل لعدم الرجوع مرة أخرى للإدمان من جهة وإحساسه لسماحة وعفو الإسلام من جهة ثانية كل ذلك سوف يدفعه للعلاج من تلقاء نفسه أولا ولزيادة دافعيته للعلاج ثانية وهما خطوتان أساسيتان نحو الشفاء والتعافي

وفي الختام إن تقرب الإمام والخطيب إلى الناس وطرح المواضيع والمشاكل برؤى إسلامية سهلة ومبسطة لا يجعل الناس يقبلون عليها فقط بل يتمسكون بها كما إن استخدام أساليب الترغيب في مواضيع تفيد اكثر من أساليب التهديد والوعيد كما وضحنا بالمثال السابق

وكما أن تفهم الأئمة والخطباء لاحتياجات المدمن ، والمدمن المتعافي سوف يخلق جو صحي يقبل عليه المدمنين سواء الذين لا زالوا يتعاطون أو أولئك المتعافين منهم على العلاج واستمرار في العلاج بدافعيه اكثر وهذا مما يخفف الضغوط على اسر المدمنين من جهة المجتمع ومن خلال تقبل أبناؤهم المدمنين للعلاج
وفي النهاية سوف تؤدي إلى تغيير نظرة المجتمع لتلك الفئة ، وأخيرا أتمنى لكل مريض الشفاء العاجل وللمجتمع الرقي والتقدم

ليس مستحيلا - الجزء الثاني